

نظر ، وأما الخطابة فما أظن أحدا قال بأن كشاجم كان خطيبا ولم تصاننا خطبة واحدة ولو قصيرة ثبت ذلك ، ثم إن ديوانه لا يكاد يشير إلى هذا ولو في بيت واحد مجرد إشارة اللهم إلا هذا البيت الذي يقوله ناصحا - فيما يبدو لبعض المتصلين به :

فرد الكتابة والخطابة والبلاغة والمباراة

وهذا لا يقتضى أن يكون هو نفسه خطيبا وإن كان يستأنس به في ذلك لوقد وجدنا في شعره ما يؤيده ، فنحن كثيرا ما نجده يفتخر بشعره وكتابته وعلمه ولكنه لم يفخر مرة واحدة بخطابته وقد فهم البيت على أن به فخرا ضمنا ، أو حتى فخرا صريحا بكتابته هو ، وخطابته وبلاغته ، ولكن على كل حال هذه هي الإشارة الوحيدة في ديوانه كله وما قرأت له من شعر خارج الديوان وبعد هذا لأدرى ما هو التحقيق الذي يتميز به على نظرائه والتدقيق الذي يربى به على أكفائه . . . إلى آخر ما ذكرنا من هذه الأوصاف المفضضة ؟

وليس يبعد عن هذا كثيرا ما يمكنه حول لقبه من قولهم كان من الشعراء المجيدين ، والفضلاء المبرزين . حتى قيل إن لقبه هذا منحوت من عدة علوم كان يتقنها فالكاف للكتابة ، والشين من الشعر ، والألف من الإنشاء ، والجيم من الجدل ، والميم من النطق « (١) وقولهم في هذا المعنى تقريبا مع خلاف يسير : « لقب نفسه بكشاجم فمثل عن ذلك فقال : الكاف من كاتب والشين عن شاعر ، والألف من أديب ، والجيم من جواد ، والميم من منجم » وقد زاد على ذلك ابن الهادي الحنبلي في شذراته : « قال في تقييد اللسان : كشاجم لقب له جمعت أحرفه من صناعته ، ثم طلب علم الطب حتى برع فيه وصار أكبر علمه (كذا) (١١) فزيد في اسمه طاء من طيب وقد مت فقيل طكشاجم ولكنه لم يشهر » .

وكل من كتب من المحدثين - عرضا في كشاجم نابوا القدامى في ذلك دون أن يلفت نظرهم هذا الكلام ؛ فينظروا فيه نظرة دقيقة فأحسوا ، ولكن أصل مذرهم في ذلك أنهم لم يفردوا بمثنا خاصا لكشاجم ؛ وإنما جاء الحديث عنه في غمار حديث ما هو غالما لا يحتمل (٢) ابن الهادي الحنبلي : شذرات الذهب ٣ ٣٧ أثناء الكلام من ٣٦٠

## « كشاجم »

- ٢ -

للاستاذ عبد الجواد الطيب

مؤلفه :

إذ شئنا أن نتحدث عن ثقافة الرجل والتمسناها في المصادر التي تحدث عنها ، لا نجد إلا كلاما فيه كثير من التكرار والتهويل على طريقة القدامى في النقد والتعريف ، مثل الذي قال المصمودي في مروج الذهب : وكان (أى كشاجم) من أهل العلم والرواية والمعرفة والأدب (١) فهذه أوصاف أربعة عامة منها اثنين متقاربان هما العلم والمعرفة ، وأما الأدب فلا مشاحة فيه ، والرواية إذا قصد بها الرواية للأدب فقد لا يكون فيها مشاحة كذلك . وأما إذا قصد بها رواية الحديث ، فانا نستطيع القول بأن كشاجم لم يكن محدثا ، أو حتى عالما مبرزا في أى علم من علوم الدين ، اللهم إلا أن يكون ذلك هو القدر الذي يلزم تحصيله ولا يسلط به الشخص في عداد العلماء . حقا إننا نجد في شعر كشاجم إشارة إلى أنه سمع شيئا من الحديث ، وذلك يبدو في مدحه لبعض العلماء :

إن سألناك عن حدود كتاب الله أوضحت مشكلات الحدود أو سمعنا منك الحديث فاستنا ذلك لا بالواهي ولا الردود وهذا البيت الأخير إن أفاد شيئا فاعنا يفيد أن الرجل قد سمع شيئا من الحديث ، ولكن لا ينهض دليلا على أن كشاجم كان من رواة الحديث بالمعنى الصحيح .

ثم إليك هذه الأناظ البراقة وتلك السجعات المتكافة التي نجد مثلها كثيرا في تراجم الأديباء والعلماء : « كان رئيسا في الكتابة ، ومقدما في الفصاحة والخطابة ، له تحقيق يتميز به على نظرائه ، وتدقيق يربى به على أكفائه ، وتدقيق في علوم التنجيم أضرم في شعله ذكائه فهو الشاعر الفائق ، والنجم المتألق (١)

فأما عن الكتابة فنعم ، وأما الرياسة فيها فلا شك أنها عمل

١ مروج الذهب ٤٧٢ . ٣ النسخة المخطوطة من الديوان ورقة ٤٢ ، ٤٣  
٢ ابن الهادي الحنبلي

الوقوف كثيرا عند كشاجم وحده .

وقد ذكر صاحب أعيان الشيعة من المحدثين إن كشاجم مأخوذ من أربع كلمات : كاتب شاعر ، منجيم متكلم ، مجيد للأوصاف كلها لاعديل له في عصره « (١) فهو يذكر أن كشاجم كاتب شاعر مع أنه هو نفسه لم يذكره فيمن ذكر من الكتاب وإن كان قد عده في الشعراء ، فهو في هذا أشبه بمن يناقض نفسه إلا أن يكون قد رأى أن كشاجم الكاتب ليس هنالك فأسقطه من عداد الكتاب ؛ وهذا شئ آخر ١١

يقى أن نقول إن هذه الأوصاف الأربعة : كاتب شاعر منجيم متكلم لو سلمنا بها جدلا ، فقد كان يجب الوقوف عندها مادامت قد حددت بأربعة ومع هذا فقد يكون فيها ما فيها ، إذ لم يحددنا أحد عن كشاجم كما لم يحددنا هو عن نفسه أنه كان « متكلم » ومع ذلك فقد كان يجب الوقوف عند هذا الحد ولكن الرجل يأبى إلا أن يكون كشاجم بمد هذا « مجيد للأوصاف كلها ؛ لاعديل له في عصره » ١١

\*\*\*

فلننظر إذن في ثقافة الرجل في شكل تعقيب على تحلياهم لهذا اللقب الذي قد حلوه على طريقهم مثل قولهم : الكاف من كاتب والشين من شاعر . . . إلى غير ذلك مما سبق الحديث عنه ، والافاضة فيه

فأما عن الكتابة فقد نظرت في بعض كتب الإنشاء مثل صبح الأعشى فلم أجد لكشاجم الكاتب فيه ذكر بيتا تراه بمرض رسائل بعض كتاب الدواوين القريبين من عصر كشاجم مثل ابن عبد كان ، وابن الداية ، كما تراه في الاخوانيات بنقل الينار رسائل لإبي الفرج البقاء - المعاصر لكشاجم في التهنئة بولاية عمل والتهنئة بالمودة من الحج ، وبالقدوم من السفر بالصوم وبالعيد كما يثبت له رسائل في التمازي والأسهداء والشكر . . . ولكن لم ترد إشارة ما إلى كشاجم الكاتب في أي جزء من أجزاء الكتاب ؛ ومع هذا فصبح الأعشى لا يهدف إلى إحصاء الكتاب في كل عصر حتى يكون من المصادر الأساسية في اثبات الكتابة

١ أعيان الشيعة ١ - ٢٤٧

لكشاجم أو فقيها عنه ، فإذا كان هذا الكتاب أو غيره لم يشر إلى كشاجم كاتبا ، فإن جميع من ترجموا له سرحوا بأن الكتابة كانت شيئا بارزا عنده ، وربما لا نقل في ذلك عن الشعر ، وقد يستدل على هذا بأن ترجمته على ظهر ديوانه تبدأ بهذه العبارة التي تلفت النظر ، والتي لها دلالتها الخاصة . هو محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك الكاتب ، ومثل ذلك ما قاله السمودي : فأخبرني أبو الفتح محمود بن الحسين بن السندي ابن شاهك الكاتب المعروف بكشاجم . . . فكل هذه إشارات لا يصح إهمالها ولا بد من تحقيقها . . . وإذا كان شعر الشاعر هو سجل حياته فن الطبيعي أن يكون مصدرنا الأول الذي نهتدى بهديه ونسير على سننه :

يقول كشاجم في سكين سرقت له :

يا قاتل الله كتاب الدواوين ما يستحلون من سرق السكاكين  
لقد دهاني لطيف منهم ختل في ذات حد كهد السيف مسنون  
فابتزبها ولم أشمر به عبثا ولست لوساء في ظن بختيون (١)

قد يفهم من هذا أن الرجل من بين كتاب الدواوين هؤلاء الذين حصل منهم هذا الميث ، ولكن هذا مجرد احتمال يقل من قيمته ما يحتمل من أن هؤلاء الكتاب ربما كانوا مجرد أصدقاء ، وأن هذا الميث كان في بيته مثلا أو في مكان آخر غير الديوان .

ولكننا نراه في موطن آخر يرثى قلاما له بهذه الأبيات من لدراة كنت تمنى بها عناية تعجز عنها القيون  
تدوم مع الكتاب فلانهم وأغددي وحدي ونال قرين  
فالدار والديوان من بعده كرسم دار خف منها القطين (٢)  
فهذا كلام يثبت أنه كان كاتبا بالفعل وأنه كان من كتاب الدواوين . واليك نصا آخر ينطق في وضوح وجلاء بأن الرجل كان من كتاب الديوان في مصر ذاتها :

قد كان شوقى إلى مصر يورفنى والآن عدت وطادت مصرلى دارا  
أفدو إلى الجزيرة الفيحاء مصطاحبا طوراً وطورا أرجى السبر أطوارا  
بيننا أسامى رئيسا فى رئاسته إذ رحلت أحصب فى الحانات نخارا

(١) النسخة المخطوطة من الديوان ورقة ١٥١

(٢) نفس المرجع ورقة ١٥٥

كشاجم لم يترك في هذا العلم أنرا ولم يؤلف فيه كتابا ولكن مهما يكن من شيء فإن الرجل لا بد وأن يكون قد ألم بشيء من ثقافة النجمين ظهر أثره في شعره :  
قال يصف - طر لا با :

ومستدير كجرم الشمس مسطوح  
ملء البنان وقد أوفت صفائح  
كانما السبمة الأفلاك محذقة  
تنبيك عن طالع الأبراج هيئته  
فإن مضت ساعة أو بمض ثانية  
وإن تعرض في وقت تقدره  
مميز في قياسات النجوم به  
وفي الدوائر من أشكاله حكم  
لا يستقل لها فيه بمعرفة  
حتى يرى الغيب فيه وهو منخلق  
نتيجة الذهن والتفكير صورته  
ذوالمقول الصحيحات الراجيح  
وقال يصف تحت الحساب والرمل :

وقلم مداده تراب في صحف مطورها حساب  
يكثر فيه الجو والاضراب من غير أن يدود الكتاب  
حتى يبين الحن والصواب وليس إعجاب ولا إضراب  
فيه ولا شك ولا ارتياب

وأما ما قيل من أنه كان من المتكلمين ، ومن علماء الجدل والمنطق ؛ فهذا ملتصقته رغبة الوقوع على ما يؤيده صراحة أو استنتاجا فلم أعثر عليه ، وقد تبيحت صلات الرجل قلم أجدننا واحدا يؤيد أنه درس الجدل أو المنطق أو علم الكلام ، أو جلس من أحد الأعلام المشهورين في هذه العلوم مجلس التلميذ من أستاذه ثم إنه لو كان له من ذلك حظ لانمكس في شعره شأنه في ذلك شأن النواحي الأخرى التي أخذ منها بطرف فنشمر الرجل لا يعطينا ولو خيطا ، دقيقا يتعلق به القائلون بأن كشاجم كان له حظ من هذا النوع من الثقافة .

ولا يتغير الموقف كثيرا إزاء ما ذكره بعض أصحاب التراجم

١ الديوان ورقة ٣١ ٢ نس الراجح ورقة ١٦

فلقد اوبن |صباحي ومنصرفي إلى بيوت دمي بملن أوتارا (٣)  
وهذا وقد عثرت في ديوانه على نص صغير قد يمثل رسالة الاخوانية ، فقد ذكر في ثنايا الديوان : وقال في أبي الحسن الاسكافي ، وقد وجد به علة ، وقد أهدى إليه طيور حجل وكتب إليه رقعة نسختها : لم يدع منظوم هذه الرقعة لنشورها حظا في المعنى الذي اشتملت عليه ، وسيدى يقف على الأبيات فيتطول بتشريفى بما التسته فيها ، وجماعتها سببها له ، إذ كان الفرض اسما فقه بما لا يزال يستدعيه ، ويرتاح له من لطيف المذاكرة والمفاكهة للادب الذي وفر الله من حظاه ووجب إليه أهله ، لا يزال الله عنهم ظله ، ولا سلهم سيادته ورياسته (١)

ولو قد صح أن تكون هذه الفقرة الصغيرة عنوانا لنثر كشاجم لفلنا أن كتابته سهلة ، مرسلة . سليمة من التعميد ، خالية من السجع والبديع إلا ما جاء من ذلك عفوا ، ولكن هذا النص وحده - كبر أو صغر - لا يكفي في الواقع في اثبات حكم أو تقيبه ولهذا فنحن البحت علينا أن نرجى هذا الحكم حتى ندرس فيما بعد ما يمكن أن نصل إليه يدنا من آثاره الأدبية النثرية الأخرى مثل كتاب « المصائد والطارذ » وكتاب « خصائص الطرب » وكتاب « أدب النديم » فإن بعضها في متناول اليد وبعضها الآخر لا تعرف عنه إلا اسمه أو ما جاءنا من فقر وعبارات متناثرة في بطون الكتب وأسماها المراجع .

أما عن الشعر فنحن نسلم بالبدا ، وهو شاعرية كشاجم ونرجى الكلام المفصل عن هذه الشاعرية في ذاتها ومقدار حظها من الممن أو السطحية ؛ ومن التقليد أو الاسالة ، ومن توفر الصدق الفني أو عدم توفره ... لأن هذا كله جدير بالمناية الخاصة بمد الفراغ من هذه الفصول التمهيدية في البحث .

أما ما يختص بالحديث عن كشاجم المنجم ، فقد عدده صاحب « أعيان الشيعة » - من المحدثين - من منجمى الشيعة ، ونقل ذلك عن كتاب معالم العلماء لابن شهر اشوب ، كما أن التراجم التي سردناها تكاد كلها تجمع على ذلك . ولا ندري مبلغ هذا القول من الصحة ، فقد يكون من قبيل التكثير والتزيد ، لاسيما أن

٣ ورقة ٦٤

١ الديوان ورقة ١٢٩ ، ١٣٠

٣٥٠٢٠

أولا ، ثم في الولايات الإسلامية المختلفة ، وقد كان ابن عبد كان كاتب أحمد بن طولون ، وأول كاتب ديوانى في مصر من هذا الطراز من الكتاب . فمنع لانقطاع كشاجم حقه ، وإنما نود أن نقول انه واحد من هؤلاء الكتاب ، الذين كانت تفرض عليهم مهنتهم أن يتصلوا اتصالا بمختلف الثقافات .

وهكذا نرى أن في المسألة شيئا من المبالغة التي نجدها كثيرا عند القدامى من النقاد وأصحاب التراجم ، وهذا الطابع طابع المبالغة قد تأثر به كشاجم نفسه فهو الآخر يقول في صديق له من الاطباء الحمد لله قد وجدت أختا لست مدى الدهر مثله واجد أسكن في صحى اليه فان مرضت كان الطبيب والمائد طبا يسيا منجما جدلا يجمع منه الكثير في واحد ينظر في الجزء والخطوط ولا ينتقد النطق مثله ناقد

وقد يقف هذا الموقف حتى من نفسه ولا ندرى أهو سذاجة أم فرور أم هو شيء بين بين أم انها المبالغة الأدبية لأكثر وما زلت أبنى العلم من حيث يتنى وافقن في أسنانه وتطرفه فقد صرت لألقى الذى أستزیده ولا يذكرك الشئ الذى استأعرفه وليت شعري هل وقف الرجل على هذه الحكمة المأثورة لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم . فان ظن أنه قد علم فقد جهل ؛ ولكن لعل في هذا ما يدل على أن الرجل كان يحاول كما قلت أن ياخذ من كل شيء بطرف وإن لم يصل في الواقع في شيء إلى القمة أو ما يقرب منها .

عبد الجواد الطيب

## اعلان

تعلمن منطقة القاهرة الجنوبية التعليمية  
عن حاجتها إلى منازل لشلها  
مماهد للتعليم بالأقسام الآتية :  
السيدة زينب - الخليفة - الحرب  
الأحمر - عابدين - بولاق  
فن له رغبة في تأجير  
منزله فليتقدم بطلب مصحوب بالرسم  
إلى حضرة صاحب الميزة المراقب  
الممام للمنطقة بمنوان ( مكتتب بريد  
البرلمان )

٥٧٦٢

من أن كشاجم طلب علم الطب حتى مهر فيه وصار أكبر علمه إذ لو كان ذلك كذلك لكان قد ترك لنا في هذا العلم شيئا مما تركه العلماء في ماهرهروا فيه من علم ، أو على الأقل قد كان يستطيع أن يخلد اسمه بين الأطباء الذين سجل الينا التاريخ أسماءهم وإن لم تصلنا آثارهم ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث؟ فهذا كتاب إخبار العلماء باخبار الحكماء للقفلى بمحدثنا عن بعض الأطباء المعاصرين لكشاجم مثل أبي الحسن بن كشرايا (١) بينما لم يرد فيه ذكر لكشاجم . وهذا طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة بمحدثنا عن كثير من الأطباء المعاصرين للرجل مثل أبي الحسن ابن كشرايا هذا الذى قال عنه إنه كان طبيبا عالما مشهورا بالفضل والالتقان لصناعة الطب وجودة الزاولة لأعمالها وكان في خدمة سيف الدولة بن حمدان (٢) ومثل البالس الذى « كان طبيبا فاضلا متميزا في معرفة الأدوية المفردة وأفعالها ، وله من الكتب كتاب التكميل في الأدوية المفردة ألفه لكافور الإخشيدى » (٣) ومثل أبي جعفر أحمد بن ابراهيم المروف ابن الجزار (٤) . . . هذا ولم يرد ذكر لكشاجم بين هؤلاء جميعا ، وكل ما هنالك أنه قد وردت إشارة اليه لا على أنه طبيب ، بل شاعر ينشئ على هذا الطبيب أبي جعفر ويصف كتابه المروف بزاد السافر :

أبا جعفر أبقيت حيا وميتا مفاخر في ظهر الزمان عظاما  
رأيت على زاد السافر عندنا من الناظرين العارفين زحاما  
سأحمد أفعالا لأحمد لم تزل مواقعها عند الكرام كراما (١)  
فكل ماقى الأمر أن كشاجم ربما قد قرأ هذا الكتاب  
فألم بشيء منه . ثم إنه من المحتمل أن يكون قد عرف شيئا من هذا عن طريق تمارفه ببعض الأطباء الآخرين ممن مدحهم في شعره ولكن ليس في هذا ما يدل على أنه مهر في علم الطب حتى ساو أكبر علمه !!

ثم اذا كان كشاجم قد حاول أن يعرف شيئا من الثقافات المختلفة في عصره فهو ليس بدعا في هذا وإنما شأنه شأن غيره من الكتاب الذين عاصروه أو تقدموا عصره بقليل فقد كانت الحياة تروج من من حولهم بألوان الثقافات الدينية والمقلية في العصر المباسى الثانى مما ظهر أثره في شعر الشعراء ونثر الكتاب في حاضرة الخلافة

١ إخبار العلماء من ٢٦٣ ٢ طبقات الأطباء ١-٢٣٨ ٣ نفس المراجع  
٢-٨٦ ٤ نفس المراجع ٢ ٣٧  
طبقات الأطباء ٢-٣٨